جورج حبش في حوار مع صحيفة « الحياة »...

■ قصة ولادة «حركة القوميين العرب» ■ خطف الطائرات كان ضرورياً في مرحلة معينة ...

■ كارلوس «مناضل ثوري أممي» ... ■ تعذر تحويل بيروت ستالينغراد ثانية فتبلور قرار الخروج وشاركت فيه

لندن - غسان شربل
الحياة - ٠٨/٠١/٢٨/

كان ذلك في العام ١٩٩٥. سألت الدكتور جورج حبش، في منزله في دمشق، عن إمكان عودته الى مناطق السلطة الوطنية الفلسطينية بعدما سبقه إليها الرئيس ياسر عرفات وآخرون إثر توقيع اتفاق اوسلو في ١٩٩٣. وجاء رده صريحاً واضحاً: «أنا لا أستطيع المرور عبر معبر يرفع العلم الاسرائيلي. لا أستطيع قبول أي عودة مشروطة. مثل هذه العودة تخالف قناعاتي وتفوق قدرتي على الاحتمال». شعرت يومها ان الأمين العام لـ «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» سيموت في المنفى بعيداً عن الضفة الغربية وغزة وبعيداً عن اللدّ التي ولد فيها قبل ٨٢ عاماً. خشيت في تلك الأيام ان يغدر القدر بالرجل قبل ان يروي قصته وتجربته. وهي قصة مهمة وخطيرة ومثيرة على امتداد عقود من عمر المنطقة والعالم. زرته محاولاً استدراجه الى سلسلة «يتذكر». وكانت المهمة شاقة. فهذا القائد الفلسطيني لا ينتمي الى مدرسة البارعين في تلميع أدوارهم أو تسويق حكاياتهم. وأوضاعه الصحية لا تساعد على جلسات طويلة تفتح باب الاسترسال واستعادة المحطات ببريقها وخيباتها. وفي النهاية تفهم دوافع الإصرار والإلحاح وكانت الثمرة أربع حلقات نشرت في مجلة «الوسط» بدءاً من ٣٠ تشرين الأول (اكتوبر). كانت الصفحة الأولى من «الحياة» في طريقها الى المطبعة حين بلغنا نبأ رحيل «حكيم الثورة» الذي أمضى سنواته الأخيرة في عمان، فسجلنا خبر رحيله. ووجدنا البارحة ان خير تحية نوجهها الي هذا القائد الفلسطيني هو ان نعيد نشر مقاطع محدودة من حديثه الطويل تسلط الضوء على بعض المحطات.

كان حبش لاعباً بارزاً على المسرح الفلسطيني. وكان لاعباً بارزاً على المسرح العربي ايضاً.

وهنا بعض ما دار في الحوار:

‹ ما هي قصة خطف الطائرات الغربية وإنزالها في *مطار الثورة» في الأراضي الاردنية؟

– عملية خطف الطائرات الغربية الى الاردن كانت عملية ضرورية جداً بالنسبة الينا، واستغرقت عمليات الإعداد لها حوالي ستة اشهر، كان هدفها الوحيد – وأرجو ان يكون ذلك واضحاً للجميع – هو مقايضة الرهائن الاسرائيليين بالافراج عن المعتقلين في سجون العدو، ولم يكن هذا العمل موجهاً ضد السلطة الاردنية أو غيرها من الحكومات الاوروبية، اثناء عملية التخطيط كان يهمنا ان تهبط الطائرات في مكان آمن نستطيع الدفاع عنه، وفي الوقت نفسه ان يكون هذا المكان صالحاً لهبوط الطائرات، اذ بالطبع لا يمكن ان ننزل الطائرات في المطارات الحكومية سواء العسكرية او المدنية، وكان المخطط ان نخطف ثلاث طائرات، طائرة اسرائيلية، وطائرة اميركية، وطائرة سويسرية، وبالفعل وصلت ثلاث طائرات الى المطار ولكن لم تكن بينها الطائرة الاسرائيلية، لأنه عندما خطفت الطائرة الاسرائيلية من مطار امستردام، وقع اشتباك داخل الطائرة التي خطفتها الرفيقة ليلى خالد ورفيق من الاورغواي استشهد اثناء الاشتباك، فيما قبضت الشرطة البريطانية على الرفيقة ليلى خالد، وقد وصلت في البداية الطائرة السويسرية ثم الاميركية، وبعد مرور ١٨ ساعة وصلت طائرة ثالثة تطلب النزول وقد التقطنا طلبها عبر اجهزة الطائرات الجاثمة في منطقة صحراوية كان يطلق عليها اسم «قيعان خنا»، وهي منطقة منخفضة ذات تربة صلبة تتحمل هبوط الطائرات، واختير المكان بعدما استشرنا احد المهندسين المتخصصين في هذه المسألة، والطائرة الثالثة كانت بريطانية قادمة من أبوظبي وعلى متنها أحد رفاقنا يطلب اتخاذ الاجراءات اللازمة لنزول الطائرة، كان ذلك يوم ١٩٧٠/٩/٦، اي قبل حدوث الاشتباكات الدامية مع الحكومة الاردنية.

‹ كيف تصرفتم مع ركاب الطائرات؟

– في البداية أطلقنا النساء والاطفال والمسنين وأوصلناهم الى عمان ومن هناك نقلتهم طائرات الى بلدانهم. وبعد ذلك قمنا بعملية فرز لبقية الركاب فاطلقنا بعض الركاب من بعض الجنسيات التي تتخذ حكوماتها موقفاً معادياً لقضيتنا، والباقون كانوا مواطنين يحملون جنسيات مزدوجة. بعد الفرز والتدقيق تبين ان هناك اسرائيليين على الطائرات (لكنهم كانوا يحملون جنسيات مزدوجة)، وقد عرفنا ذلك عندما اكتشف احد الرفاق مجموعة من جوازات السفر الاسرائيلية ملقاة في سلة المهملات. كان عددهم ٥١ اسرائيلياً وكانوا في الطائرات التي أتت من اوروبا، أما الطائرة التي أتت من أبوظبي فكانت تقل بعض الجنود الاميركيين القادمين من الفيليبين وتايلاند وكوريا. وقررنا بعد ذلك الاحتفاظ بالاسرائيليين في منطقة بعيدة عن مكان وجود الطائرات. في هذه الاثناء وصل الينا مبعوث من وزير الدفاع العراقي صالح مهدي عماش، حاملاً برقية منه تطالبنا بإطلاق سراح الرهائن، بالطبع نحن لم نستجب طلبه، وطلبنا من اللجنة الدولية للصليب الأحمر التدخل من اجل اطلاق المعتقلين الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية، كما أرسل أبو عمار وفوداً سياسية ضم أحدها حامد ابو ستة عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، طالباً اطلاق الطائرات والرهائن لأن المنظمة بدأت تتعرض لضغوط سياسية كبيرة. كما ارسلت «فتح» مجموعات مسلحة تحت ستار زيارة الطائرات (لأننا كنا سمحنا للمواطنين بزيارة الطائرات في أوقات محددة) وقد حاولت احدى هذه المجموعات الاستيلاء على الطائرات من الداخل، لذلك منعنا اي شخص مسلح من الصعود اليها.

‹ كم يوماً استمرت عملية خطف الطائرات؟

– احتجزنا الرهائن والطائرات الى ١٩٧٠/٩/١٣ اي لمدة اسبوع بعدما اتخذنا قراراً بنسف الطائرات، ونقل الرهائن الى عمان لاستكمال الاتصالات والمفاوضات مع الجهات الدولية المعنية، ويوم ١٦ ايلول (سبتمبر) اندلعت المعارك مع الحكومة الاردنية فكانت عملية حماية الرهائن تزداد صعوبة يوماً بعد يوم. في هذه الاثناء اتصلت بنا السفارة المصرية في عمان وقالت ان الرئيس جمال عبدالناصر يتمنى عليكم إنهاء موضوع الرهائن، على ان تتولى الحكومة المصرية عمليات نقلهم، ومتابعة المطالب التي اعلناها. وافقنا على طلب الحكومة المصرية لأن قضية الرهائن لم تعد تحتل مكاناً مهماً بالقياس الى ما هو حاصل من معارك ومجازر ولأن مصير الثورة ووجودنا أهم بكثير من الرهائن وهكذا أنهيت العملية من دون ان تحقق الهدف الاساسي منها وهو اطلاق المعتقلين في سجون الاحتلال.

‹ هل كان لوديع حداد دور في هذه العملية؟

– بالطبع كان لوديع حداد دورَ اساسي فهو كان المشرف الأول على العمليات الخاصة، لكن تنفيذ العملية تم بقرار سياسي من الجبهة. في المناسبة كان وديع حداد موجوداً في منطقة خطف الطائرات لكنه غادر المكان قبل أيلول بأيام معدودة الى مكان آخر وتسلم الرهائن عقيد مصري اسمه ابراهيم الدخاخنة (سامي).

خلاف مع وديع حداد

‹ ألا تعتقد ان عمليات خطف الطائرات أضرت بالقضية الفلسطينية ورسمت لكم صورة ارهابية في العقل الغربي؟

– الهدف الأساسي من خطف الطائرات هو محاولتنا إبراز القضية الفلسطينية لدى الرأي العام الغربي، لأن القضية الفلسطينية، خلال فترة ليست بالقصيرة، لم تكن واردة او معروفة بشكل واضح للغرب عموماً، وذلك بحكم سيطرة الحركة الصهيونية على وسائل الاعلام الغربية. وكان لا بد من كسر هذا الاحتكار عبر لفت الانظار الى القضية الفلسطينية. وهذا موضوع قديم أذكر ان بعض اساتذتنا في الجامعة الاميركية لفتوا انتباهنا اليه وطالبونا بعمل شيء لتنبيه الرأي العام الغربي، خصوصاً داخل الولايات المتحدة الاميركية. وفكرنا نحن في أشياء كثيرة وكان من ضمنها موضوع خطف الطائرات. كنا مدركين منذ البداية ان عمليات خطف الطائرات لا تشكل عنوان مواجهة مع اسرائيل وأداة ضغط على الغرب بل وسيلة إبراز القضية الفلسطينية، لذلك عندما استنفدت هذه الوسائل أغراضها وأدت وظيفتها، قررنا وقف هذا النمط من العمليات. وكان هذا القرار الذي اتخذ في المؤتمر الوطني الثالث للجبهة موضع خلاف مع رفيقنا وديع حداد الذي استمر في هذا النهج بعد ذلك.

‹ هل يمكن ان نسأل كيف اقتحم جورج حبش عالم السياسة ومعترك النضال؟ ومن أين كانت البدايات؟

– حتى اكون صادقاً معك ومع نفسي فانني قبل نكبة العام ١٩٤٨ كنت أعيش حياة عادية جداً، ولم تكن السياسة تشكل لي هاجساً خاصاً اذ لم أكن منخرطاً في اي تنظيم سياسي. وكنت قبل النكبة أقوم بدوري بحدود دور اي انسان وطني عادي، يحس ويعيش الاضطهاد الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني على يد قوات الاحتلال البريطاني والعصابات الصهيونية من قتل وتدمير واستيلاء على الأرض. وحتى تاريخ النكبة لم أقم بأي دور مميز على صعيد العمل النضالي. ومع حدوث النكبة بدأ التحول الحاد في حياتي باتجاه العمل الوطني والقومي. هذه هي البداية وتلك كانت البوابة التي دخلت منها معترك السياسة. تم ذلك كله تحت ضغط الاجواء العامة التي ولدتها النكبة وتشريد الشعب الفلسطيني وهزيمة الجيوش العربية، فالاجواء التي كانت سائدة في الوطن العربي عموماً وفي فلسطين ولبنان خصوصاً كانت تدفع بكل انسان حر الى ضرورة التفكير في الرد على النكبة. حينها كنت لا أزال طالباً في الجامعة الاميركية في بيروت حيث كان الجو العام في لبنان كله وفي الجامعة الاميركية خصوصاً وداخل المدارس، مشحوناً جداً وأكثر مما نتصور. في هذه المرحلة التحقت بجمعية «العروة الوثقى»، وكانت هذه الجمعية ذات نشاط قومي فعّال على الصعيد الاعلامي والثقافي، خصوصاً على صعيد الندوات العامة التي كان يحاضر فيها كثير من المفكرين والأدباء العرب حيث تركز النقاش في تلك الفترة، سواء داخل أروقة الجمعية او خارجها، على اسباب هزيمة الجيوش العربية وكيفية ضياع فلسطين والسبيل الى استردادها. وأعتقد بأن أهم الاجابات وأكثرها موضوعية وعلمية قدمها الدكتور قسطنطين زريق في كتابه الشهير تحت عنوان «معنى النكبة»، وكذلك الكتاب الذي أصدره ساطع الحصري وتناول فيه اسباب هزيمة الجيوش العربية السبعة أمام العصابات الصهيونية. والتي يمكن تكثيفها بالخلاصة الآتية: ان تفتت العرب وانقسامهم، وغياب وحدتهم كانت العامل الرئيسي وراء خسارتهم المعركة امام العدو. وقد تعرفت الى ندوات الجمعية الى الأخ الكبير المرحوم كمال جنبلاط، كما تعرفت الى شاعرنا العظيم عمر ابو ريشة الذي ألقى في احدى ندوات الجمعية قصيدة عصماء ألهبت مشاعر الحضور. وفي هذه الفترة كان يدور حوار فعّال داخل اسوار الجامعة بين الاتجاه القومي والاتجاه الشيوعي. وكان الخلاف يتركز على شرعية قرار تقسيم فلسطين والاعتراف به، حيث كان الشيوعيون يدافعون عن قرار التقسيم نظراً الى موقف الاتحاد السوفياتي المؤيد للقرار. وكنا نرى في موقف الشيوعيين تبعية مطلقة للاتحاد السوفياتي. كذلك كانت الانتخابات داخل الجمعية تدور بين الاتجاه القومي – ومن ضمنه البعثيون – والتيار الشيوعي، وكان الرأي العام يميل الى مصلحة القوميين، وبالتالي فإن نتيجة الانتخابات كانت لمصلحة التيار القومي، وقد ترشحت كنائب لرئيس الجمعية وفزت. وفي العام التالي ترشحت لمنصب رئيس الجمعية وفزت به.

‹ في أي عام خضت الانتخابات للمرة الأولى؟

– خضت الانتخابات للمرة الأولى سنة ١٩٤٩، وكذلك في الأعوام ٥٠ و٥١ ولم يكن نشاطنا مقتصراً على الجامعة بل تعدى اسوارها الى المحيط، وبالذات في المخيمات الفلسطينية في لبنان حيث كانت الاجواء السياسية مشحونة والناس تريد فعل اي شيء للرد على الهزيمة. وباشرنا الاتصال بالناس. ومن خلال هذه الزيارات التي كنت أقوم بها أنا والشهيد وديع حداد تعرفنا الى الرفيق أبو ماهر اليماني، والرفيق المرحوم أبو عدنان قيس (عضو المكتب السياسي للجبهة الديموقراطية لاحقا). بعد ذلك بدأنا بإجراء اتصالات مع القوى السياسية السائدة آنذاك، ولا سيما منها حزب «النداء القومي» وكذلك مع حزب «البعث» الذي كانت تربطنا به علاقات جيدة. جملة هذه الاتصالات طرحت علينا جميعاً السؤال التاريخي الكبير «ما العمل؟» وماذا علينا ان نفعل من أجل فلسطين؟ اتصلنا بحزب البعث وعقدنا حوارات جدية مع الرفاق البعثيين ومن بينهم ميشيل عفلق، وهم رفاق موضع احترام وتقدير، الا ان محصلة الحوارات والنقاشات أظهرت ان هناك خلافات تمحورت حول قضيتين جذريتين: أولى هذه القضايا مركزية القضية الفلسطينية، وضرورة التركيز على فلسطين باعتبارها القضية المركزية ومحوراً للنضال القومي، فيما كان حزب البعث يركز على قضايا التحرر الوطني، من دون ان يعني ذلك ان البعث لم يكن يأخذ القضية الفلسطينية في الاعتبار بل كان يدرجها في جدول مهماته، لكنها لم تكن تحظى بالأولوية. وثاني هذه القضايا التي كانت مثار خلاف مع البعثيين، موضوع الاشتراكية التي شكلت ركيزة اساسية في نضال البعث، حيث كنا نرى ان طرح هذه القضايا لا يزال مبكراً، وأن التركيز على القضايا القومية يجب ان يأخذ المكانة الرئيسية بعد القضية الفلسطينية.

نواة حركة «القوميين العرب»

‹ في تلك المرحلة كانت حركة «الاخوان المسلمين» احدى القوى الرئيسية الفاعلة في المجتمع العربي عموماً وفي مصر خصوصاً، ما هي نظرتكم الى هذه الحركة في تلك الفترة؟ وهل كانت بينكم وبينها اي حوارات، سواء في لبنان أم في الأردن؟

– في لبنان لم يكن بيننا وبين حركة الاخوان المسلمين اي حوار او نقاش، اما في الأردن فكانت العلاقات بيننا في تلك الفترة علاقات عدائية، لأن موضوع التحرر الوطني كان طاغياً على كل الساحات العربية ومن ضمنها الأردن، والحركة لها موقف، والاخوان لهم موقف آخر مغاير بحكم طبيعة علاقاتهم وتحالفاتهم. اما في مصر، فلم يكن لنا وجود في مرحلة التأسيس، وبعد ذلك كانت العلاقة مع عبدالناصر والصراع بين عبدالناصر والاخوان هما اللذان يحكمان العلاقة بيننا.

‹ في المرحلة التي شهدت الحوار والخلاف مع البعث هل كانت حركة القوميين العرب قد شكلت؟